

## قيم التدخل المهني للخدمة الاجتماعية في إدارة الكوارث

### Professional Intervention Values of Social Work in Managing Disasters

إعداد

دكتور / عماد فاروق صالح

الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان  
وأستاذ المجالات بكلية الخدمة الاجتماعية - جامعة الفيوم - مصر

دكتور / مجدي محمد مصطفى عبد ربه

الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان

### الملخص العربي

اهتم البحث الحالي بمعالجة أحد الموضوعات المهمة المتعلقة بالتدخل المهني للخدمة الاجتماعية في إدارة الكوارث الطبيعية، ومن ثم سعى إلى تسليط الضوء على تاريخ التدخلات المهنية للخدمة الاجتماعية في الكوارث، وكذلك في الأزمات، على المستوى العلاجي والوقائي، وكذلك على مستوى البحث في الكوارث، كما هدف البحث أيضا إلى تحديد الفروق بين مفهومي الكارثة والأزمة، ثم تطرق لضرورة تبني القدر المناسب من الحساسية في أثناء الاسترشاد بالقيم المهنية، عند تقديم المساعدة للمنكوبين والمتضررين، جراء الكوارث الطبيعية. وقد نُفِذَ البحث من خلال تبني المنهج الوصفي التحليلي الذي طُبِّقَ باتِّباع طريقة تحليل المضمون لبعض الدراسات الوثائقية للعديد من الدراسات المنشورة على المستوى العالمي.

### الكلمات المفتاحية:

الكوارث الطبيعية - الأزمات - التدخل المهني - الخدمة الاجتماعية - القيم.

## English Abstract

The current research focused on addressing one of the important issues related to the professional intervention of the social work in natural disasters management, and then sought to shed light on the history of professional interventions in disasters as well as in crises , at both treatment and preventive levels.

In addition to research disasters. as the research also intended to identify the differences between the concepts of disaster and crisis, and then impressed on the need to adopt the appropriate amount of sensitivity while guiding professional values when providing assistance to those afflicted and affected by natural disasters.

The research was carried out by adopting the descriptive analytical Approach that was applied by following the content analysis method for some documentary studies (Documentary Approach), where many of these studies had been published on the global level.

### Keywords:

Neutral Disasters – Crisis – Professional intervention – Social Work - Values

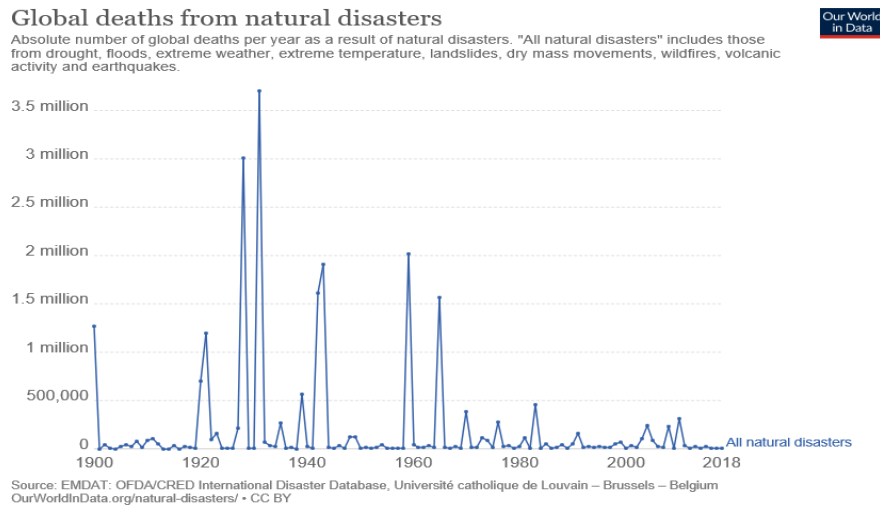
### أولاً: مقدمة البحث وإشكاليته

يعاني العديد من المجتمعات الإنسانية من الآثار المدمرة التي تخلفها الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية (التي من صنع الإنسان)، وتتوقف نتائج هذه التأثيرات على عديد من العوامل أهمها: إمكانية توقع حدوث الكارثة، والاستعداد لها، وما يعقبها من أزمات متعددة، إضافة إلى القدرات والإمكانيات المجتمعية المتاحة، للتعامل مع تداعيات الكارثة، هذا بالإضافة إلى مستوى تعاون المنظمات الدولية الإنسانية في أثناء حدوث الكارثة للتعامل بطريقة فورية وعاجلة، والاستجابة لاحتياجات المناطق المنكوبة جراء الكارثة. فإن أداء تلك المنظمات الدولية مؤثر، ولا سيما أن لديها فرقاً للعمل مدربة ومنظمة، يقودها قادة وخبراء مؤهلون ومدربون، كما تتوفر لتلك المنظمات القدرة على توفير الدعم اللوجستي في حالات الطوارئ، وقبل - وفي أثناء، وبعد - حدوث الكارثة في كثير من الأحيان.

أما عن الإحصائيات المتعلقة بالآثار المدمرة للكوارث الطبيعية، فيشير كل من " Ritchie & Roser 2020 " إلى وجود تباين بدرجة كبيرة في عدد الوفيات الناجمة عن الكوارث الطبيعية من عام لآخر؛ فقد يمضي العديد من السنوات ولا يفقد العالم إلا عددا قليلا جدا من البشر، قبل وقوع كارثة كبيرة ترهق العديد من الأرواح. وتشير أحدث الإحصائيات حول الوفيات بسبب الكوارث الطبيعية إلى أن متوسط عدد الوفيات جراء

هذه النوعية من الكوارث، على مدى العقد الماضي، قارب 60.000 شخص على مستوى العالم كل عام، وهذا يمثل نسبة 0.1 ٪ من الوفيات العالمية. (Ritchie & Roser , 2020)

والشكل التالي رقم 1 الذي يتعلق بالوفيات نتيجة الكوارث الطبيعية على المستوى العالمي يؤكد ذلك التباين من فترة زمنية إلى أخرى (1900 إلى 2018)، حيث يشير الرقم المطلق إلى عدد الوفيات عالمياً، جراء الكوارث الطبيعية - كل الكوارث الطبيعية - التي تشمل: الجفاف، والفيضانات، والطقس القاسي، ودرجة الحرارة القاسية، والانهيارات الأرضية، وحركات الجفاف المتعددة، وحرائق الجفاف، والنشاط البركاني، والزلازل (EMDAT, 2019).



**Figure 1 Global deaths from natural disasters**

كذلك تؤدي الكوارث بأنواعها المختلفة إلى الدمار والخسائر، اللذين بدورهما يؤثران في جوانب متعددة من رفاة الأفراد في المجتمع، جسدياً واجتماعياً، كما تتجلى هذه الآثار في الظروف الصحية والمعيشية، وكذلك في التفاعلات داخل الأسرة والمجتمع كله، ويعد تسليط الضوء على آثار الكوارث في العلاقات الاجتماعية من الأمور الحيوية، ليس من أجل الكشف عن جوانب الضعف وأنماطه فحسب، بل لفهم قدرات أفراد المجتمع بشكل أفضل؛ كي يتم استثمارها في التعافي من آثار الصدمات والضغط. كما تؤدي الكوارث إلى زيادة أعداد الوفيات، والتشرد، وزيادة عدد الأرمال والأيتام، وغالباً ما تحطم الكوارث آليات الحماية الرسمية وغير الرسمية، وتتعطل خدمات الدعم التقليدية أو المجتمعية التي تقدمها الدولة لأفراد المجتمع، أو يؤدي ذلك إلى ندرتها، الأمر الذي يزيد من تفاقم المشكلات الاجتماعية والنفسية لدى المنكوبين (Masson, et al., 2016). ويمكن أن نلاحظ في العقود الأخيرة ميلاً عالمياً واسعاً نحو الوفيات المتزايدة والخسائر الاقتصادية بسبب الأخطار الطبيعية، أو بسبب تلك التي تكون من صنع الإنسان، في جميع أنحاء العالم، ويمثل التوسع

الحضري أحد أهم العوامل المؤثرة في هذه الزيادة في الخسائر، والأهم من ذلك المستوطنات المعرضة بشكل خاص لتنامي الأزمات والفوضى الاجتماعية والاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية والكوارث التي من صنع الإنسان، بسبب الكثافة السكانية العالية والتطور السريع (Nojavan, et al., 2018)

كما تزداد التأثيرات السلبية للكوارث على البيئة الاجتماعية المباشرة للأفراد، تلك البيئة التي تتألف من شبكات الدعم الاجتماعي بما فيها من العائلة، والأصدقاء، ومنظمات الخدمات الاجتماعية الرسمية، وغالبًا ما تتعطل هذه الشبكات بسبب الكوارث ذات النطاق الإقليمي؛ لذا تعد إعادة تشكيل تلك الشبكات للدعم الاجتماعي؛ أحد الأهداف الأساسية أمام برامج الإغاثة من الكوارث التي تستخدم المتطوعين، ويهدف ذلك إلى تقليل اضطراب الأداء الاجتماعي، وتيسير تعافي المتضررين من الكارثة. ومن ثم يبرز دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مجال الكوارث للمساعدة في إصلاح العطب الذي قد يكون قد أصاب شبكات الدعم الاجتماعي؛ كي يتم تفعيلها للقيام بواجباتها الطبيعية تجاه المنكوبين والمتضررين، ولاسيما في فترة ما بعد الكارثة. فلا يقتصر دور الخدمة الاجتماعية على الخبرة في تقديم الخدمات فقط، بل يتسع ليشمل كذلك ممارسة التنسيق المشترك بين المنظمات لتحسين الأداء؛ كي تساعد شبكة المنظمات الفعالة والمنسقة من منظمات تقديم خدمات الكوارث الأفراد والأسر والمجتمعات على التعافي وتجنب المشاكل النفسية والاجتماعية طويلة المدى (Zakour, 1996).

ومن خلال استعراض العديد من الأدبيات النظرية العربية بالمتعلقة بإدارة الكوارث والأزمات وجدنا خطأ واضحاً، وتداخلاً في الطرح والتناول المنهجي، بين دور الخدمة الاجتماعية في إدارة الكوارث، وتدخلها في الأزمات؛ حيث يخلط البعض بين مفهومي الكارثة والأزمة، ويتم التعامل معهما على أنهما شيء واحد، على الرغم من الاختلافات الشديدة بينهما. وقد سعينا من خلال البحث الحالي إلى إضافة شيء، وإن كان محدوداً، يتعلق بقيم الممارسة المهنية في أثناء المشاركة في إدارة الكوارث؛ لذا تمثلت مشكلة البحث الحالي في معالجة أحد الموضوعات المهمة المتعلقة بالتدخل المهني للخدمة الاجتماعية في إدارة الكوارث الطبيعية - على وجه التحديد - من خلال تسليط الضوء على تاريخ التدخلات المهنية في الكوارث، وكذلك في الأزمات وصولاً إلى تحديد الفروق بين مفهومي الكارثة والأزمة، ثم التركيز على تبني قدر مميز من الحساسية في أثناء الاسترشاد بالقيم المهنية، عند تقديم المساعدة للمنكوبين والمتضررين، أفراداً وأسراً، جراء الكوارث الطبيعية.

## ثانيا: أهداف البحث

هدف البحث الحالي إلى استخلاص الدور التاريخي لمهنة الخدمة الاجتماعية في التدخل لإدارة آثار الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية ومواجهتها، وكذلك التدخل في الأزمات. ومن ثم استوجب التطرق إلى تحديد الفروق بين الكوارث الطبيعية والكوارث التي من صنع الإنسان والأزمات. كما سعى أيضا إلى تسليط الضوء على ضرورة مراعاة القدر الأكبر من الحساسية عند الاسترشاد بالقيم المهنية للخدمة الاجتماعية، في أثناء التدخل المهني لتقديم الدعم والمساعدة الاجتماعية والنفسية والمادية للأفراد المنكوبين والمتضررين وأسره، جراء التعرض للكوارث الطبيعية.

## ثالثا: تساؤلات البحث

في إطار السعي لتحقيق هذه الأهداف، وفي ضوءها، تحددت تساؤلاته في التالي :

1. ما الدور التاريخي لمهنة الخدمة الاجتماعية في التدخل لإدارة آثار الكوارث الطبيعية أو تلك التي تكون من صنع الإنسان ومواجهتها، وكذلك التدخل في الأزمات؟
2. ما المقصود بالكوارث الطبيعية والكوارث البشرية والأزمات؟
3. ما مستوى حساسية الالتزام بتطبيق القيم المهنية للخدمة الاجتماعية في أثناء التدخل لمساعدة المنكوبين جراء الكوارث؟

## رابعا: الاستراتيجية المنهجية

عد هذا البحث من البحوث المرجعية التي حاولت تتبع الدور التاريخي لمهنة الخدمة الاجتماعية في التدخل في الكوارث والأزمات، وذلك من خلال الاطلاع على بعض الدراسات العلمية والاستفادة من أهم نتائجها للوصول إلى الأهداف التي حددها البحث وسعى إلى تحقيقها. وقد تم تنفيذ البحث من خلال تبني المنهج الوصفي التحليلي الذي تم تطبيقه باتباع طريقة تحليل المضمون لبعض الدراسات الوثائقية (Documentary Approach) حيث رجعنا الى العديد من الدراسات المنشورة على المستوى العالمي وجميعها مجلات مفهسة ومصنفة ضمن Google Scholar.

## خامسا: الفرق بين الكارثة والأزمة

على الرغم من الاتفاق بين الكارثة والأزمة (Disaster & Crisis) في تداعياتهما الخطيرة وآثارهما السلبية، وشدهما وعنفيهما، فثمة فروق واضحة بينهما؛ حيث يمكن التنبؤ بالأزمة، ولا يمكن التنبؤ بالكارثة إلا في بعض الحالات المحدودة، كالثورات البركانية، أو الأعاصير المدارية، أو الصراعات المسلحة، حيث تظل الكارثة بعيدة عن دائرة التوقعات الدقيقة؛ لأنها تحدث فجأة، كما تقع غالبية الكوارث لأسباب طبيعية نتيجة

ثورات الطبيعية وتقلباتها، في حين أن أغلب الأزمات تنتج من أخطاء بشرية عمدية، أو نتيجة الإهمال. ولا يمكن أن ننكر حدوث بعض الكوارث بسبب الإنسان، مثل: كارثة انفجار المفاعل النووي "تشرنوبل Chernobyl"، الذي يعد أسوأ كارثة لمحطة طاقة نووية في العالم حتى الآن، حيث كانت هذه الكارثة الوحيدة منذ ظهور الطاقة النووية، وقد أدى ذلك إلى انهيار كلي في قلب المفاعل، وانبعاثات هائلة من النويدات المشعة، ووفيات مبكرة لـ 31 شخصًا فقط، بالإضافة إلى العديد من التأثيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية الهائلة الناتجة بشكل أساسي عن الخوف العميق من الإشعاع الناجم عن افتراض عدم وجود حدود خطية للتأثيرات الناجمة (Jaworowski, 2010). أما الأزمة فيمكن وصفها بأنها حالة داخلية من العجز العاطفي الناتج عن مشكلة، لا يمكن للفرد معالجتها بفعالية وفق تجاربه وخبراته المعتادة.

ووفق نظرية الأنساق، ينظر إلى الأزمة بوصفها اضطرابًا في التوازن أو في الحالة المستقرة التي تسعى الكائنات الحية للحفاظ عليها. فعادةً ما يتعامل الأشخاص مع الضغوط الحياتية باستخدام حزمة من آليات الدفاع غير الواعية، وآليات المواجهة الواعية، منها على سبيل المثال: الضبط، والترشيد، والفكاهة، والبحث عن الدعم من الآخرين والتمارين البدنية. في حين أنه في أثناء الأزمة يكون الشخص غير قادر على الحد من الضغوط بالطرق المعتادة. ويسعى الفرد إلى استخدام آليات المواجهة، أو يحاول استخدام الإجراءات التي لا تستجيب؛ ونتيجة لذلك يدخل في حالة ذاتية من العجز واليأس وعدم التنظيم (Sands, Fall 1983, pp. 253-254).

ويمكن تصنيف معظم الكوارث الطبيعية التي تحدث بشكل متكرر إلي أربع فئات رئيسية: الفيضانات، والزلازل، والأعاصير، والمجاعات. كما أن هناك أحداثًا كارثية أخرى، مثل: الانهيارات الأرضية، والانهيارات الثلجية، والعواصف الثلجية، والحرائق التي تحدث في حالات نادرة وتهدد نسبًا أصغر من العالم المكتظ بالسكان. وتعتبر الرياح والمياه والقوة التكتونية (هي نظرية علمية تصف الحركات الكبرى لغلاف الأرض الصخري أي القوى الخارجية التي تنشأ تحت السطح، والتي تغير التكوين السطحي للأرض نتيجة لحركة الصفائح التكتونية) من العوامل المدمرة في فئات الكوارث المذكورة سابقًا. في حين أنها كلها تسبب أضرارًا هيكلية، تختلف آثارها ما بين الوفيات والاعتلال على مدار الزمن (Guha-Sapir & Lechat, 1986).

ولمزيد من التفصيل أشار الموقع الإلكتروني للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر " The International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies "

(IFRC) - نقلا عن مركز بحوث علم الأوبئة " Center for research on the Epidemiology of "disasters" - إلى أن المخاطر الطبيعية تحدث بشكل طبيعي ظواهر فيزيائية ناتجة إما عن أحداث سريعة أو بطيئة، يمكن أن تكون جيوفيزيائية، مثل: الزلازل، والانهيارات الأرضية، والتسونامي، والنشاط البركاني، ومنها ما يعود إلى العوامل الهيدرولوجية، مثل: الانهيارات الثلجية، والفيضانات، أو نتيجة لعوامل وظروف مناخية، مثل: درجات الحرارة القصوى، والجفاف، وحرائق الغابات، أو بسبب الأرصاد الجوية: كالأعاصير والعواصف، أو نتيجة للعوامل البيولوجية، مثل: الأوبئة، والمرض، والحشرات، والأوبئة الحيوانية.

وتؤدي الكوارث الطبيعية مثل : الأعاصير والزلازل إلى وجود شعور بالعجز وعدم القدرة على التحكم حيث لا يوجد ما يمكن لمنعها. وفي أحسن الأحوال يمكن تحذير الناس من حدوثها كما في حالة الأعاصير، كما تتصف هذه الكوارث بالعشوائية من حيث تأثيرها، وغالبًا ما تسبب دمارًا واسع النطاق مما يؤدي إلى عدم توفر الدعم المجتمعي والموارد لبعض الوقت. كما لا يوجد سبب واضح للوم وهذا قد يجعل الناس غاضبين من الطبيعة.(Becker, et al., 2008, pp. 3-4).

أما المخاطر التكنولوجية أو التي من صنع الإنسان، فتتمثل في: حالات الطوارئ، والنزاعات المعقدة، والمجاعات، والسكان النازحون، والحوادث الصناعية، وحوادث النقل، وتعد بمثابة الأحداث التي يسببها البشر وتحدث في - أو بالقرب من - المستوطنات البشرية. كما توجد عدة تحديات، مثل: تغير المناخ، والتوسع الحضري غير المخطط له، والتخلف، والفقر، وكذلك انتشار الأوبئة التي ستطلب المساعدة الإنسانية في المستقبل؛ ومن ثم فإن كل هذه العوامل ستؤدي إلى زيادة تواتر الكوارث وتعقيدها وشدتها (IFRC, 2020).

كذلك في الكوارث التي من صنع الإنسان كما هو الحال في أي هجوم إرهابي عادة ما تكون غير متوقعة، حيث يكون أمام الناس قليل من الوقت لإعداد أنفسهم، ومع ذلك يمكن لهذه المآسي أن تحشد المجموعة المتأثرة للتعاون من أجل التركيز على عدو تم تحديده والسعي إلى الانتقام أو إيجاد العدالة؛ الأمر الذي يمنحهم شعورًا بالسيطرة على هذا الحدث أو الأحداث المستقبلية، وعند التعامل مع الكوارث التي من صنع البشر فإن الحافز القوي يكمن في فكرة "إذا تمكنا من تحديد مصدر التهديد والحد منه سنكون آمنين مرة أخرى" (Becker, et al., 2008, p. 4)

وفي ضوء ما سبق يمكن ملاحظة وجود العديد من الفروق الواضحة بين الأزمة والكارثة، فالأزمة تكتسب صفات متعددة أعم وأشمل من الكارثة؛ فالأزمة تشير إلى جميع الأزمات التي تحدث على المستوى الفردي أو الأسري أو الجماعي أو المجتمعي (المجتمعات المحلية - الإقليمية - الدولية)، أما الكارثة فتتحدث في الحوادث ذات الخسائر الفادحة في الأرواح والممتلكات التي تحدث غالبًا بشكل مفاجئ، ودون

توقع أو استعداد لمواجهتها. وتتسم الأزمات وبعض أنواع الكوارث كالصراعات المسلحة بوجود مؤيدين ومعارضين داخليا وخارجيا، فمنهم من يحاول إخمادها ومنهم من يحاول إثارتها، أما الكوارث الطبيعية فلا يوجد مؤيدون لها، بل تتسارع جميع الدول والجهات لتقديم العون المادي والمعنوي لمن أصابتهم الكارثة.

### سادسا: نشأة الممارسة المهنية والبحثية وتطورها في مجال إدارة الكوارث الطبيعية والأزمات

تعددت الآراء المهنية المتعلقة برصد الدور التاريخي لمهنة الخدمة الاجتماعية في التدخل لإدارة آثار الكوارث الطبيعية والأزمات ومواجهتها أو تلك التي تكون من صنع الإنسان. فمن خلال مراجعة بعض من أدبيات التراث العالمي، سواء أكان نظريا أم بحثيا أو ذلك المتعلق بالتدخل المهني للأخصائيين الاجتماعيين خلال المراحل المختلفة للكوارث وبحوث الممارسة المهنية، يمكن أن نؤكد على أن تاريخ الممارسة المهنية، وكذلك تاريخ بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية كان متباينا بين العديد من المجتمعات الغربية المتقدمة، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، والمجتمعات الشرقية، بما فيها الدول العربية والأسبوية بكافة مستوياتها. كما أننا يجب أن ننبه على الفارق الواضح الذي يغفله كثير من الباحثين، عندما يتعاملون مع التدخل في الكوارث، والتدخل في الأزمات على أنهما شيء واحد مع العلم أنهما مختلفان، وهذا ما سيتضح عندما نتحدث عن الفوارق بين الكارثة Disaster، والأزمة Crisis.

### مهنة الخدمة الاجتماعية والكوارث :

لم يتضمن التراث النظري للخدمة الاجتماعية - حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي - كثيرا مما يمكن أن يقدمه، حول دور الخدمة الاجتماعية في (Grossman, 1973). كما أكدت العديد من الكتابات النظرية، والدراسات الميدانية، في كثير من الدول الأسبوية؛ عدم وضوح الحاجة الملحة للتدخل الفعال، من قبل الأخصائيين الاجتماعيين، في مجال إدارة الكوارث الطبيعية والأزمات ومواجهتها خلال العقود الماضية؛ فقد كان تركيز الممارسة المهنية منصبا على مجموعة من مجالات الممارسة التقليدية المعروفة لدى كافة الممارسين والدارسين. يؤكد ذلك "O'Hagan,2005" عندما يشير إلى أن الأخصائيين الاجتماعيين أطلقوا العنان لتدخلاتهم المهنية في العديد من المواقف والحالات، منها حالات: الإساءة للأطفال، وإضرابات المسنين، ومرضى الأمراض المزمنة، والفقد، والمرض العقلي، والنساء اللاتي بلغن سن اليأس، وصراع الأجيال بين المراهقين وآبائهم..... إلخ. وفي وقت متأخر رأى Hagan أن موضوع الأزمات المتكررة والمتسارعة التي تتصل بالإساءة الجنسية للأطفال، وانتشار مرض الإيدز، والزيادة المتكررة للكوارث Disasters دخلت على خط المواجهة. ومن ثم طرح العديد من الأسئلة نفسها في هذا الإطار، منها على سبيل المثال: كيف يتعامل الأخصائيون الاجتماعيون مع هذه الكوارث؟ وكيف يمكن توفير التدريب الفعال



لهم في هذا الموضوع؟ وما الأطر النظرية والمفاهيمية التي يمكن أن تدعم ممارستهم المهنية؟ (O'Hagan , 2005, p. 138).

وفي المقابل نجد فريقاً آخر يري - دون شك - أن للخدمة الاجتماعية تاريخاً طويلاً في تلبية احتياجات الفئات المهمشة من السكان، ومنهم أولئك الذين يعانون من آثار الكوارث الطبيعية أو الكوارث التي تكون من صنع الإنسان، فعلى مدار التاريخ شاركت مهنة الخدمة الاجتماعية في عمليات الإغاثة في حالات الكوارث، وقد أولت آنذاك اهتماماً كبيراً بالتدخلات النفسية والاجتماعية، في حين كان اهتمامها أقل في جانب التمكين والتنمية الاجتماعية، ولاسيما تدخلها في جهود التعافي فيما بعد الكوارث؛ وعليه فقد أكد الأخصائيون بالتنمية الاجتماعية ضرورة إشراك الأخصائيين الاجتماعيين في أعمال الإغاثة، مستخدمين في ذلك مهاراتهم ومعارفهم الأساسية لتنسيق بيئة الإغاثة في حالة الكوارث، والعمل مع المجتمع ولأجله من أجل تأمين وصول الموارد المجتمعية للأسر الضعيفة.

وأكدت "Nikku" كذلك عدم معرفة الكثير عن إسهام مهنة الخدمة الاجتماعية في كثير من الكوارث، منها على سبيل المثال: زلزال Latur earthquake 1993 في الهند، وزلزال تايوان عام 1999، وزلزال Bhuj earthquake 2001 في الهند؛ و تسونامي الآسيوي Asian Tsunami 2004 في إندونيسيا، وزلزال Kashmir earthquake 2005 في باكستان، وزلزال Sichuan earthquake 2008 في الصين، وزلزال Japan earthquake 2011، وزلزال نيبال Nepal Earthquake 2015، وأن عدم المعرفة هذه لا يجب أن يفسر على أنه متمثل في عدم استجابة الأخصائيين الأكاديميين والممارسين لهذه الكوارث على أرض الواقع. فعلى الرغم من مشاركتهم في مواجهة آثار هذه الزلازل فإنهم لم يتمكنوا من الكتابة والنشر حول دور مهنة الخدمة الاجتماعية في المجالات العلمية المتخصصة ذات التصنيف العال، وتحديدًا تلك التي تصدر باللغة الإنجليزية (Nikku, 2015, pp. 601-602).

لذا فإنه بالرغم من استمرارية حدوث الكوارث سواء أكانت طبيعية أم من صنع الإنسان؟ فإن إسهامات الخدمة الاجتماعية في إعادة بناء المجتمعات بعد الكوارث لم يتم توثيقها بشكل جيد، خاصة في المجتمعات الآسيوية (Tan & Rowlands, 2007). وتُعد "Guat Tin Ng 2012" من جامعة هونج كونج للفنون التطبيقية استثناءً في ذلك، حيث اهتمت بالنشر عن كفاءات الجهود المهنية للخدمة الاجتماعية ودورها في الإغاثة في حالة الكوارث، فمن خلال عملها ساعدت على دعم مستوى قبول الخدمة الاجتماعية في الصين في أثناء الكوارث الطبيعية، ولاسيما في بعض المهام التي ينظر إليها على أنها خدمة اجتماعية مهنية، كتقديم المشورة بشأن المنكوبين.

وبالمثل طالب الأخصائيون الاجتماعيون بتعليم الخدمة الاجتماعية في كثير من الدول الأخرى بضرورة وجود دور استباقي للخدمة الاجتماعية في تعليم الطلبة؛ إذ أكدوا على أهمية الحاجة للاضطلاع بدور استباقي من قبل الأخصائيين بتعليم الخدمة الاجتماعية، في بناء الأطر المعرفية للمهنة، للعمل في المناطق المعرضة للكوارث. ومن ناحية أخرى نبه الأخصائيون في تعليم الخدمة الاجتماعية على المستوى العالمي على أهمية الانتباه إلى كيفية التعامل مع آثار زلزال Haiti 2010، والمطالبة بقوة لحاجة طلبة الخدمة الاجتماعية لفهم القضايا الاقتصادية وتأثيراتها في دور الخدمة الاجتماعية في إيجاد المرونة بالمجتمعات المحلية (Nikku, 2015, p. 602). وعلى الجانب الآخر، فإن المتتبع للتاريخ المهني للخدمة الاجتماعية في الدول الغربية؛ يستنتج أن للمهنة جهودًا بحثية متميزة في مجال الكوارث والأزمات.

لقد شاركت مهنة الخدمة الاجتماعية منذ فترة طويلة في الاستجابة للكوارث، وتطورت بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية للكوارث، كما يتوافق المفهوم المهني للكوارث والاهتمامات الرئيسية لبحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية؛ مع الرؤى النظرية للمهنة، ومهمتها التاريخية. أما مستقبل بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية ففي حاجة إلى التركيز على فهم فعالية التدخلات مع الكوارث، متضمنًا الاستنتاجات النفسية التي تخص الفئات الضعيفة - تحديدًا - والمجتمعات المحلية التي تنتمي إلى الثقافات والأمم الأخرى.

كما يجب أن يأخذ مديرو الطوارئ في الاعتبار، الاقتراحات المقدمة من بحوث الخدمة الاجتماعية، تلك التي تتضمن: الاهتمام - بعناية - بتكوين مجموعات استخلاص المعلومات، وإدماج الممارسات الدينية التقليدية، بوصفها جزءًا من عملية استخلاص المعلومات، والتأكد من مناسبة الأنشطة والعناصر المادية ثقافياً لمعسكرات اللاجئين، واعتماد توصيل الخدمات للمنظمات المستجيبة للكوارث، على نطاق جغرافي واسع، وتشجيع أنشطة التدريب المشتركة، وتبادل نظم المعلومات الجغرافية، وغيرها من التقنيات لتحسين التنسيق، والحرص على تجنيد المتطوعين في الكوارث، وتدريبهم، والاحتفاظ بهم، وبناء تحالفات مجتمعية للمساعدة في تنسيق تقديم الخدمات في الكوارث.

وتعد هذه المقترحات متصلة - بدرجة كبيرة - من أجل بناء الشبكات الاجتماعية، بما فيها الشبكات المشتركة بين المنظمات، و من أجل توصيل الخدمات، ومشاركة الموارد في أثناء الكارثة (Zakour, 2004, pp. 32-33). إضافة إلى ما سبق، تأكيداً على الإسهام التاريخي المتميز لمهنة الخدمة الاجتماعية، في مجال الكوارث والأزمات - سواء أكان على مستوى البحث أم الممارسة والتدخلات المهنية للأخصائيين الاجتماعيين - فيمكن الاستشهاد كذلك في هذا السياق ببعض ما تم نشره حول ذلك.

وقد أكد "Zakour 1997" في إحدى مقالاته المنشورة، أن لبحوث الكوارث في تاريخ مهنة الخدمة الاجتماعية جذورا عميقة في مجال الإغاثة؛ إذ تمثلت مهمة الخدمة الاجتماعية في إيجاد الموارد، وجعلها في متناول الناس، وتقديم الخدمات للسكان المنكوبين. كما كان للأخصائيين الاجتماعيين إسهامات مهمة، وفريدة من نوعها، لتنفيذها في بحوث الكوارث، عبر خبراتهم في المداخل البيئية، والوقائية، والتكيفية، وتعزيز التغيير في الأنساق الصغيرة والكبيرة Micro and Macro Systems. ويجب أن ندرك أن بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية تستند في المقام الأول إلى علم النفس وعلم الاجتماع، وتنفذ هذه البحوث في البيئات الإكلينيكية والتنظيمية والمجتمعية، وسوف يؤدي المزيد من البحث في مجال الكوارث في الخدمة الاجتماعية إلى تدعيم النظرية والقياس والممارسة، في مواقف الضغوط الجماعية (Zakour, 1997).

### مهنة الخدمة الاجتماعية والأزمات :

أما من حيث التدخل المهني للخدمة الاجتماعية في الأزمات فقد استخدم التدخل في الأزمات بوصفه اتجاها علاجيا في الممارسات المهنية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، أكدت ذلك " Lydia Rapoport 1965 "في كتابها "حالة الأزمة: بعض الاعتبارات النظرية" حيث أشارت إلى أن الأخصائيين الاجتماعيين قد رأوا أن التدخل في الأزمات كان مفيداً جدا في بعض مجالات الممارسة، مثل: العمل مع المسنين، وكذلك العمل مع ضحايا الاغتصاب، كذلك وجد الأخصائيون الاجتماعيون في مجال الرعاية الصحية، أن المدخل العلاجي يتماشى بشكل كبير مع طبيعة ممارساتهم المهنية.

وتبرز أهمية الاعتماد على التدخل في الأزمات في ممارسات الخدمة الاجتماعية في أنه في كثير من الأحيان قد تتسبب الأمراض والإصابات؛ في شعور المرضى وعائلاتهم، بمشاعر شديدة من العجز والقلق؛ الأمر الذي يوصلهم إلى حالة، قد لا يكون استخدام الأساليب العلاجية التقليدية وقتها كافياً للتعامل مع تلك المشاعر. مع التأكيد على أن القليل من المساعدة والتوجيه العقلاني والتركيز الهادف، في وقت استراتيجي؛ يؤدي إلى جعل التدخل في الأزمات متوافقا مع الإطار الزمني المختصر، المعتاد عليه، في ممارسة الخدمة الاجتماعية في المستشفيات (Rapoport, 1965, p. 30).

وبما أن الممارسات الوقائية تعد جزءا مهما من ممارسات مهنة الخدمة الاجتماعية ، فإن الخدمة الاجتماعية في مجال الكوارث تهتم بالتدخل في البيئات الاجتماعية والمادية للأفراد والجماعات بوصفها وسيلة لمنع حدوث مشكلات صحية ونفسية خطيرة وطويلة الأجل بعد الكارثة (Rogge, 2003) . وتتجلى الوقاية بشكل كبير في التخفيف من حدة الكوارث في المجتمع، وقد يتضمن ذلك النشر السريع للمعلومات في شكل تعليمي عام؛ لحث السكان المستضعفين على الإخلاء عند سماع التحذير من الكوارث. ويشمل كذلك حشد

الجماعات المجتمعية؛ لدعم مشاريع تخفيف آثار الكوارث على السكان، تلك المشاريع التي منها تطوير قوانين البناء لزيادة قدرة البيئة العمرانية على الصمود أمام الزلازل أو الفيضانات أو الرياح العاتية المرتبطة بالأعاصير أو النظم الاستوائية. ويُنظر إلى الوقاية الأولية على أنها أكثر الوسائل فعالية لتقليل الأحداث الصادمة في مخيمات اللاجئين (Drumm, et al., 2003).

كما تركز الممارسات الوقائية على التدخل في البيئات الاجتماعية والمادية للأفراد والجماعات بوصفها وسيلة لمنع حدوث المشكلات الصحية والعقلية الخطيرة طويلة الأجل بعد الكارثة، كما تتكون البيئة الاجتماعية المباشرة للأفراد من شبكات الدعم الاجتماعي، وتشمل ضمن ما تشمل العائلة والأصدقاء ومنظمات الخدمات الاجتماعية الرسمية، وغالبا ما تتعطل هذه الشبكات بسبب الكوارث ذات النطاق الإقليمي، وقد تسعى برامج الإغاثة من الكوارث إلى إعادة تشكيل شبكات الدعم لتقليل اضطرابات الأداء الاجتماعي وتيسير التعافي، إذ تعتمد استعادة مستويات الأداء الاجتماعي على ما كانت عليه قبل وقوع الكوارث، وعلى إعادة بناء البيئة المادية؛ حيث يشكل الإسكان والبنية التحتية الأخرى جزءا مهما من البيئة المادية للأفراد والأسر، وقد تتعرض هذه المباني والخدمات للتلف والتدمير بسبب الكوارث، ويمثل التدخل في البيئة المادية نوعا من أنواع الوقاية الثانوية التي تحد من الاضطراب في النظم بعد وقوع الكوارث ( Zakour, 2004, pp. 32-33).

ومن ثم يمكن القول إن الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في مجال إدارة الأزمات والكوارث؛ تعد أحد أشكال الممارسة العصرية للمهنة، ولعل من الأسباب المهمة التي ساعدت على دخول مهنة الخدمة الاجتماعية هذا المجال، ظهور الاتجاهات الحديثة التي كانت - ولا تزال - تؤكد ضرورة إدارة الأزمات والكوارث بكافة أنواعها، حيث يتم تشكيل فرق عمل خاصة بذلك، تشمل كافة التخصصات، وأصبحت الحاجة ماسة وضرورية، إلى وجود الأخصائي الاجتماعي ضمن هذه الفرق؛ نظرا لما تسببه هذه الأزمات والكوارث من مشكلات نفسية واجتماعية.

ومن أهم خصائص هذه المشكلات : الخوف، والتوتر، وفقدان الثقة بالنفس، وغيرها من المشكلات النفسية والاجتماعية التي تستلزم التدخل المهني من جانب الأخصائيين الاجتماعيين؛ ليطمئن التعامل معها وفق أسس علمية قائمة على مجموعة من المعارف والمهارات والقيم الأخلاقية، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاهتمام بالإعداد المهني للأخصائي الاجتماعي من قبل المؤسسات الأكاديمية المختصة بتعليم الخدمة الاجتماعية؛ حتى يكتسب المختص بالمعارف والمهارات المهنية الضرورية التي تؤهله لممارسة دوره بكفاءة واقتدار في هذا المجال. كما يجب أن نأخذ في الاعتبار أن المعرفة المتزايدة والمداخل المنظمة Systematic

Approach هي المفضلة عند تقديم الخدمات، تجنباً لوقوع الضرر بالمستفيدين، وبالتالي أتي هذا التحول السريع من خلال اندماج الممارسات العملية المهنية بالتعليم (Sherr, 2008)

ومن وجهة نظرنا يجب التأكيد على التاريخ الطويل للجهود المهنية في تقديم الخدمات والمساعدات الإغاثية في مرحلة تعرض المجتمعات والجماعات والأفراد للكوارث والأزمات، فعدم توثيق تلك الجهود ونشرها لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود التدخلات المهنية الرائعة التي أسهمت في التخفيف من معاناة كثير من المنكوبين والمتضررين، جراء تلك الكوارث والأزمات. ومن تلك المساعدات المهنية تلك المساعدات التي ارتبطت بخدمات الإغاثة في حالات مع ما بعد الكارثة أو الأزمة، حيث تُعد الإغاثة في حالات الكوارث مهمة معقدة تتطلب على تقديم خدمات الطوارئ والخدمات الأخرى ذات الصلة التي تنفذ بواسطة الأخصائيين الاجتماعيين وعن طريقهم.

ومن ثم ينبغي الاعتراف بهذه النوعية من الخدمات بوصفها جزءاً من الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، فقد شارك الأخصائيون الاجتماعيون في العديد من أعمال الإغاثة في حالات الكوارث عبر تاريخهم المهني، بالرغم من أن ذلك لم يكن موثقاً في البحوث الاجتماعية، علاوة على ذلك، فإن التدخل المهني في مجال إدارة الكوارث لم يكن بالضرورة جزءاً دائماً في عملية تعليم الخدمة الاجتماعية (Yanay & Benjamin, 2005). وفي الآونة الأخيرة، بدأ باحثو الخدمة الاجتماعية في استكشاف فعالية التدخلات في حالات الكوارث التي طورت في الولايات المتحدة، وتم تطبيقها في أماكن متعددة الثقافات أو دولية (Soliman & Paula, 2003).

وختاماً يمكن التأكيد على الإسهامات المميزة التي يمكن أن تقدمها بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية في دعم الأطر المعرفية للتدخلات المهنية في مجال مواجهة الكوارث وإدارة الأزمات؛ يتأتى ذلك بجلاء في المبررات التي ساقها "Zakour 2004" والتي تتمثل في التركيز المهني على آثار الكارثة عبر مستويات وأنساق متعددة. إذ اختبرت بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية أنساقاً متعددة، بداية من المستوى الأسري إلى المستوى المجتمعي، على كلا من المستويين: المحلي والدولي. كما تم تحسين التدخل على مستوى المجتمع المحلي؛ لتجنب الخسائر طويلة الأمد التي يمكن أن تصيب الشرائح السكانية الضعيفة، مثل: الأطفال، ولمنع الانقطاع والتواصل داخل الأنساق الأسرية والجماعات والمنظمات. كذلك تم اختبار السلوك الفردي والمؤسسي متضمناً التطوع بعلاقته التنسيقية وفاعلية الشبكات التنظيمية ذات الصلة بالكوارث. وفي النهاية يمكن التأكيد على أن الخدمة الاجتماعية قد أسهمت حالياً، وسوف تسهم مستقبلاً في البحث والممارسة في مجال الكوارث (Zakour, 2004, p. 33)

## سابعاً: مفهوم إدارة الكوارث ودورها

تُعد إدارة الكوارث واحدة من العوامل الرئيسية التي تؤثر على الوقاية من الكوارث، وتكون بمثابة استراتيجية فعالة عند حدوثها، ومع ذلك، وعلى الرغم من حقيقة أن الكوارث كانت دائماً متلازمة مع البشر، فلا تزال إدارة الكوارث بمثابة حقل مهني وعلمي جديد نسبياً (Asgary, 2006). ويعد مفهوم دورة إدارة "Disaster Management Cycle" - مفهوماً تجميعياً يشمل جميع جوانب التخطيط للكوارث والاستجابة لها، وتشمل كذلك أنشطة ما قبل الكوارث، مثل: الوقاية، والتخفيف، والتأهب، وأنشطة ما بعد الكوارث وتشمل: الاستجابة، والبحث، والإنقاذ، والإغاثة، وإعادة الإعمار، وإعادة التأهيل، وقد يشير المفهوم إلى إدارة كل من مخاطر، وتداعيات الكوارث. (Guleria, 2017). ويقصد بإدارة الكوارث التعامل مع العناصر المكونة للكارثة، والأطراف الداخلة فيها؛ وبناء عليه يتطلب الوضع سرعة اتخاذ قرارات حاسمة في مواجهة الموقف الطارئ الذي أدت إليه الكارثة؛ ومن ثم تمارس إدارة الكوارث والأزمات في ظل متغيرات ثلاثة:

1. محدودية الوقت.

2. التداعيات القاتلة والكارثية.

3. ندرة المعلومات، وعدم كفايتها ودقتها.

وبخصوص دورة الكارثة فيمكن تقسيمها إلى خمس مراحل رئيسية، تطول مدتها أو تقصر من كارثة إلى أخرى، وال مراحل هي: مرحلة الإنذار التي تشير إلى احتمال وقوع كارثة وفترة التهديد التي تكون خلالها الكارثة معلقة، مرحلة التأثير عند وقوع الكارثة، مرحلة الطوارئ عندما تبدأ أنشطة الإنقاذ والعلاج، مرحلة إعادة التأهيل عند تقديم الخدمات الأساسية على أساس مؤقت، مرحلة إعادة البناء عندما يتم تحقيق عودة دائمة إلى الحياة الطبيعية. وتختلف الوفيات والاعتلالات الصحية الناجمة عن الكوارث على مدار هذه المراحل، وهي أيضاً دالة على الظروف الصحية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمع المتأثر بالكارثة. ونتيجة لذلك تبدو أن الإحصاءات العالمية المتعلقة بالكوارث تشير إلى تواتر أكبر بكثير للكوارث الطبيعية في البلدان النامية عنها في الدول المتقدمة (Guha-Sapir & Lechat, 1986)

## ثامناً: القيم الأخلاقية للخدمة الاجتماعية أثناء الكوارث

إن التعامل المهني المحترف مع المنكوبين والمتضررين من الكوارث يعد من الأمور التي تتسم بالحساسية المفرطة، حيث تتعدد جوانب التأثير التي يعاني منها هؤلاء المنكوبون، ومن جانبنا نرى أن هذه الحساسية تزداد مع أولئك المهنيين (الأخصائي الاجتماعي والنفسي) الذين يختصون بالتعامل مع النواحي النفسية والاجتماعية لهؤلاء المنكوبين. ومن ثم فإنه من المهم لمن يعملون مع الأفراد المتضررين من الكوارث

أن يفهموا الكيفية التي يتأثر بها الفرد من كافة النواحي، وهذا يعني أن الكارثة لا تؤثر فقط على عقل الشخص وعواطفه، ولكن أيضًا يمتد التأثير على الجوانب الأخرى لصحته وأدائه، حيث تؤثر الاستجابة الإنسانية للكوارث في وقت واحد على ثلاثة أبعاد مختلفة ولكنها ذات صلة ببعضها تلك التي تتمثل في الأبعاد: البيولوجية والنفسية والاجتماعية، تلك التي تكون معا ما يعرف بالنموذج البيولوجي النفسي الاجتماعي (Bio-psycho-social model).

ويمكن تشبيه هذه الجوانب الثلاثة من الأداء البشري بالأرجل الثلاثة للمقعد ثلاثي السيقان، حيث تعد كل ساق فريدة من نوعها ولكن كل واحدة تلعب دوراً حاسماً في ما إذا كان المقعد يعمل بشكل صحيح أم لا (Becker, et al., 2008, p. 6)، ومن ثم فإن الالتزام الصارم بتطبيق القيم والمبادئ المهنية من جانب الأخصائيين الاجتماعيين في حالات الكوارث أمراً لا يعد مرغوباً فيه بل حتمياً. تلك القيم التي تتضح بجلاء من خلال العديد من المواثيق الأخلاقية للمهنة في كافة الدول دون استثناء.

كما تتضح هذه القيم في المفهوم العالمي للخدمة الاجتماعية Global Definition of Social Work، ذلك المفهوم الذي أكسبها أهمية خاصة بين كافة المهن المعترف بها محلياً وعالمياً، ذلك المفهوم الذي قدمته الجمعية الأوروبية لمدارس الخدمة الاجتماعية " European Association for Schools of Social Work" والذي يؤكد أنها تلك المهنة القائمة أساساً على الممارسة وذلك التخصص الأكاديمي الذي يعزز التغيير الاجتماعي والتنمية والتماسك الاجتماعي، وتمكين الناس وتحريرهم، ويقوم على مبادئ العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، والمسؤولية الجماعية، واحترام التنوع، مما يعد ركائز أساسية للخدمة الاجتماعية مدعومة بنظريات العمل الاجتماعي والعلوم الاجتماعية والإنسانية والمعرفة الأصلية (ثقافة المجتمع).

وتقوم الخدمة الاجتماعية على أساس مشاركة الناس والمؤسسات في مواجهة تحديات الحياة وتعزيز رفاهية الإنسان. ويمكن تبني هذا المفهوم على المستويات العالمية أو الإقليمية (E A S S W, 2017). وقد تضمن هذا التعريف مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي توجه الأخصائيين الاجتماعيين في أثناء الممارسة، تلك القيم التي تم الاعتراف بها واقعياً عام 2014، من قبل الاتحاد الدولي للأخصائيين الاجتماعيين، والرابطة الدولية لمدارس الخدمة الاجتماعية، وقد تم تبني هذا التعريف وتطبيقه على المستويات الإقليمية والوطنية؛ ومن ثم فإن جميع سياسات الاتحاد الدولي للأخصائيين الاجتماعيين IFSW بما فيها من تعريف الخدمة الاجتماعية يصاغ في ضوء هذه المبادئ الأخلاقية (IFSW, 2018).

ومن خلال التعريف العالمي للخدمة الاجتماعية، يمكن تحديد أهم محاور الممارسة المهنية في ثلاثة محاور أساسية، تتمثل في: الأطر المعرفية، والمهارات المهنية، والقيم والمعايير الأخلاقية. ويعد محور القيم والمعايير الأخلاقية النواة الرئيسية للورقة الحالية؛ لذا سوف نركز على تناوله بشكل يوضح أهم القيم والمعايير الأخلاقية التي يجب الالتزام بها من قبل الأخصائيين الاجتماعيين عند التدخل لإدارة الكوارث أو الأزمات. مع الأخذ في الاعتبار أن هذه القيم يجب الالتزام بها في كافة مجالات الممارسة المهنية التي منها التدخل لإدارة الكوارث والأزمات. لقد حظيت هذه القيم المهنية بتبني كثير من الجمعيات والاتحادات الخاصة بالخدمة الاجتماعية لها، فقد اتفق العديد من الاتحادات الوطنية للأخصائيين الاجتماعيين في كثير من دول العالم في مواثيقها الأخلاقية على حزمة من القيم والمبادئ المهنية، التي ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية (IFSW, 2018)

وعلى الرغم من أنه لا يمكن حصر هذه القيم وعددها، فإن هناك اتفاقاً على مجموعة من القيم الأساسية لمهنة الخدمة الاجتماعية بداية من النزاهة إلى احترام كرامة الفرد وتقدير المشاعر والعدالة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، هذه القيم الأساسية تكون متأصلة في فعالية أنشطة وبرامج الخدمة الاجتماعية، وتساعد في تحقيق أغراض مهنية محددة، على سبيل المثال: فإنها ترسخ الأساس الأخلاقي للمؤسسة التي يخدم بها الأخصائي الاجتماعي، وتلخص المبادئ الأخلاقية المستخدمة لوضع المعايير المهنية وتوجيه ممارسات الخدمة الاجتماعية، كما تساعد هذه المبادئ الأخصائيين الاجتماعيين على تحديد الالتزامات المهنية بما يضمن عدم تضارب المصالح القانونية.

كذلك تعد هذه المبادئ في حد ذاتها معايير عامة يمكن للجمهور استخدامها لمسألة الأخصائيين الاجتماعيين، وتتمثل القيم الخمسة الأكثر استحواداً على الاهتمام في برامج تعليم الخدمة الاجتماعية في: تفضيل الخدمة العامة على المصلحة الشخصية، والعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، والعلاقات الإنسانية، والنزاهة (Social Work degree guide, 2020). ومن ثم يمارس الأخصائي الاجتماعي وظيفته في مجال الكوارث والأزمات بوصفه أحد مجالات الممارسة المهنية في نطاق قيم المهنة ومبادئها وأخلاقياتها. فالالتزام بهذه الأخلاقيات يسهم بلا شك في ترسيخ مكانة المهنة في مثل هذه الظروف، مع الأخذ في الاعتبار أن الأخصائي الاجتماعي يعمل ضمن فريق عمل لمساعدة المنكوبين أو المتضررين من الكارثة أو الأزمة، ومن ثم فقد أستقر الأمر على وجوب وضرورة الالتزام بتطبيق عددا من القيم والاعتبارات الأخلاقية التي يجب مراعاتها في أثناء تقديم الخدمات في حالات الكوارث، من هذه القيم على سبيل المثال وليس الحصر:



## الاحترام والكرامة المتأصلة في الإنسانية

يدرك الأخصائيون الاجتماعيون الكرامة المتأصلة في جميع البشر، ويحترمونها في المواقف والكلمات وبالأفعال (IFSW, 2018)؛ لذا قد يجد العديد من الناجين من الكوارث الطبيعية والتكنولوجية صعوبة في طلب المساعدة من منظمات الخدمات بسبب الوصمة الاجتماعية المرتبطة بهذه الوكالات في كثير من الأحيان، والخوف من فقدان الاحترام، والاستقلال، والسيطرة على حياتهم، ومن ثم يجب على الأخصائيين الاجتماعيين تقييم أفضل الطرق لتسهيل التدخل في أثناء العلاقات المتبادلة مع المتضررين، والاحترام الكامل للأفراد والأسر في سياق التدخل بعد حدوث الكارثة، كما يلتزم الأخصائيون الاجتماعيون بالتزامات ما بعد الكوارث، من خلال إشراك وسائل الإعلام بحكمة، وبطرائق تحمي حقوق الناجين.

### تعزيز الحق في تقرير المصير

قد تؤدي الكوارث إلى خلق حالة من الارتباك وعدم اليقين والصراع، ومن هنا يجب أن يتخذ الناجون قرارات حاسمة، وهم يسعون إلى إيجاد حل فوري للمواقف الشديدة والصدمات العاطفية، ومع ذلك، فغالبا ما يتم تقييد الاستقلالية الفردية مع قيام منظمات الاستجابة للطوارئ بتنفيذ عمليات ما بعد الكوارث، حيث يكون للناجين الحد الأدنى في القرارات المتعلقة بالإخلاء والمأوى، ولكن يجب أن تتاح للناجين الفرصة للتعرف على أوضاعهم الفريدة من الحياة أو احتياجاتهم الخاصة، كما يجب على الأخصائيين الاجتماعيين توكي الحذر بعد الكارثة عند استخدام الأساليب التي تعزز من حق تقرير المصير للناجين سواء أكان ذلك في مواجهة الاضطرابات أم الخسائر المادية أو العاطفية

### تعزيز العدالة الاجتماعية:

إن الأمن البدني والإعاشة ضروريان لجميع الأفراد والأسر والمجتمعات للتعافي من آثار الكوارث، فعند الاستجابة للكوارث والتعافي منها، تتصدى الشبكات الاجتماعية، والمتطوعون، والمنظمات غير الرسمية لتغطية بعض هذه الاحتياجات الأساسية، في حين أن آخرين يحتاجون إلى تدخل منسق من الحكومة المحلية، غير أن الجهود المتعمدة التي تبذلها المنظمات غير الهادفة للربح والمتطوعون تكون مطلوبة لضمان تحقيق العدالة الاجتماعية للناجين من الكارثة، وتماشيا مع التقاليد والقيم التاريخية والإنسانية ينبغي على الأخصائيين الاجتماعيين إيلاء اهتمام خاص باحتياجات السكان المعرضين والمحرومين في ظل ظروف الكوارث، بما في ذلك الأطفال والمسنين، والأشخاص الذين يعانون من إعاقات جسدية وعقلية، وعليه يجب على الأخصائيين الاجتماعيين أن يكونوا قادرين على تطبيق مبادئ العدالة التوزيعية، والإجرائية، والتشاركية، في ظل ظروف الكوارث (Suliman & Rogge, 2002).

وفي هذا الإطار حث الاتحاد الدولي للأخصائيين الاجتماعيين IFSW، الأخصائيين على تعزيز العدالة الاجتماعية من خلال تمكين مقدمي الخدمة، كما أكد أن هذا يمكن تحقيقه من خلال تدريب وتطوير مهنيين بشكل أفضل، ومنح الأخصائيين الاجتماعيين الدعم للممارسة الأخلاقية وتحمل مخاطر معقولة (Robb, 2012). كذلك أكد IFSW أن يتحمل الأخصائيون الاجتماعيون مسؤولية إشراك الناس في تحقيق العدالة الاجتماعية، فيما يتعلق بالمجتمع عمومًا، وفيما يتعلق بالأشخاص الذين يعملون معهم ويقصد بهم هنا المتضررون من الكوارث والأزمات، وهذا يعني: تحدي التمييز والقمع المؤسسي، واحترام التنوع، والتوزيع العادل للموارد والثروات، وتحدي الممارسات والسياسات غير العادلة، وبناء التضامن، (IFSW, 2018).

وقد سبق "Zakour" إلى تأكيد ذلك في إحدى مقالاته عن الخدمة الاجتماعية في مجال الكوارث، حيث أشار إلى أن البحوث الاجتماعية في مجال الكوارث تتفق مع اهتمام المهنة بالوقاية، والنهج العام تجاه المشكلات الاجتماعية، والتوزيع العادل للموارد، وحصول المستضعفين عليها، إلى جانب الاهتمام بتحسين مستويات المساواة في تقديم الخدمات للمتضررين من هذه الكوارث. (Zakour, 2004).

### المطالبة (الدفاع) :

نشأت مهنة الخدمة الاجتماعية في إطار تغير اجتماعي، وعلى مدار تاريخ المهنة سعى الأخصائيون الاجتماعيون إلى ضمان وصول جميع الناس على قدم المساواة إلى الموارد والفرص التي تتيح لهم تلبية احتياجاتهم الأساسية (NASW, 2020). وقد تفرض الظروف في بعض الأحيان اتباع عدة أساليب لضمان الحصول على الحق في المساعدة من قبل العملاء. يتضح ذلك بجلاء في حالات الكوارث والأزمات حيث يتزايد الطلب على الحصول على المساعدات العاجلة والضرورية التي يمكن وصفها بأنها مساعدات البقاء على قيد الحياة لكثير من المنكوبين والمتضررين، الأمر الذي يهيب الفرص لاختبار مدى التزام الأخصائيين الاجتماعيين بقيمهم المهنية.

وهنا تظهر المدافعة بوصفها واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في الاستجابة للكوارث والتعافي منه؛ لأنها تتطلب فهما واضحا لمصالح الناجين واحتياجاتهم ، وبسبب التعارض المحتمل مع المبادئ الأساسية مثل حق تقرير المصير، ويمكن ملاحظة هذا التعارض في المواقف الفردية التي يكون للناجين فيها احتياجات خاصة قد لا يتم مراعاتها في إطار مجموعة الخدمات الأساسية المقدمة في حالات الكوارث التي تكون المنظمات على استعداد لتقديمها (على سبيل المثال طفل متخلف عقليا، أو شخص بالغ مصاب بمرض الزهايمر).

وفي مثل هذه الحالات تكون الخدمة الاجتماعية ملزمة بتقييم الاحتياجات الشخصية للأفراد والأسر للحفاظ على أداء مستوى الكفاف، والمشاركة في الدفاع عن تلك القضايا لتلبية احتياجاتهم هؤلاء المتفردين باحتياجاتهم الخاصة بشكل كاف. كما أن إقرار مبدأ المطالبة أو الدفاع فيما يتعلق بالكوارث يسلب الضوء على التزام الأخصائيين الاجتماعيين بالاشتراك في عمليات التقييم والتخطيط والتأهب لما قبل الكارثة لزيادة احتمال توفر الخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة متى ما وقعت الكارثة (Suliman & Rogge, 2002)

## خاتمة

سلط البحث الحالي الضوء على التناول التاريخي للتدخل المهني للخدمة الاجتماعية في الكوارث، وكذلك تدخلها في الأزمات؛ حيث إن عددا غير قليل من الباحثين قد تناولها بوصفها شيئا واحدا، والحقيقة أن التدخل في الكوارث شيء، والتدخل في الأزمات شيء آخر، وإن تشابهت بينهما بعض المسائل المهنية، كالالتزام بالمبادئ والقيم والمعايير الأخلاقية من قبل الممارسين، في أثناء التدخل في أي منهما. ومن ثم كان ذلك داعيا إلى التفريق بين مفهوم الكارثة وأنواعها، ومفهوم الأزمة، ومحاولة تبيان مدى الاختلاف بينهما.

إن ما يمكن أن نستخلصه من هذه الخاتمة أن مهنة الخدمة الاجتماعية كان لها باع طويل من التدخل في الأزمات والكوارث؛ وأنه قد لوحظ اختلاف في الشواهد النظرية في التراثين الغربي والشرقي، حول توقيت بداية التدخل المهني في الكوارث والأزمات. فمن وجهة نظرنا وجب تأكيد التاريخ الطويل للجهود المهنية في تقديم الخدمات والمساعدات الإغاثية في مرحلة تعرض المجتمعات والجماعات والأفراد للكوارث والأزمات، إذ تأخر التنظير حول تدخل الخدمة الاجتماعية في الأدبيات الشرقية، لكن عدم توفر هذا التنظير حول دور الأخصائيين الاجتماعيين في مجال الكوارث في الدول الآسيوية والعربية لا يعنى انعدام الجهود المهنية في تلك البلدان، بقدر ما يعزى ذلك إلى افتقاد عنصر توثيق هذه الجهود ونشرها، ولا سيما في الدوريات ذات السمعة العلمية المتميزة. ولقد استنتجنا أن عدم توثيق تلك الجهود ونشرها لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود التدخلات المهنية الرائعة التي أسهمت في التخفيف من معاناة كثير من المنكوبين والمتضررين، جراء تلك الكوارث في العديد من المجتمعات، وخاصة الآسيوية.

كذلك تعرض البحث للإسهام التاريخي المتميز لمهنة الخدمة الاجتماعية في مجال الكوارث والأزمات على مستوى الممارسة، والتأكيد على تطور بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية للكوارث؛ ما نتج عنه توافق المفهوم المهني للكوارث والاهتمامات الرئيسية لبحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية مع الرؤى النظرية للمهنة، ومهمتها التاريخية.

إضافة إلى ما سبق فقد أكد البحث الحالي دور بحوث الكوارث في الخدمة الاجتماعية في دعم الأطر المعرفية للتدخلات المهنية في مجال مواجهة الكوارث وإدارة الأزمات، ذلك الدور الذي أدى إلى ظهور الاتجاهات الحديثة في الخدمة الاجتماعية التي كانت - ولا تزال - تؤكد ضرورة التدخل للمشاركة في إدارة الكوارث بكافة أنواعها. كما كان الهدف من تناول التأثيرات السلبية للكوارث - بشكل عام - هو توضيح دور التدخل المهني في إعادة إصلاح العطب الذي لحق بشبكات الدعم الاجتماعي غير الرسمية بالمجتمعات المحلية؛ ما يجعل أحد الأهداف الرئيسية أمام المهنة، إعادة تشكيل هذه الشبكات وتدعيمها؛ لتقليل اضطراب الأداء الاجتماعي، وتيسير التعافي لدى المنكوبين المتضررين من الكارثة.

وأخيرا كان التركيز على محور القيم المهنية - التي يفترض أن يسترشد بها الأخصائيون الاجتماعيون - أمرا مهما لتوضيح مدى الحاجة إلى مراعاة القدر الأكبر من الحساسية عند التطبيق، حيث يكون المنكوبون والمتضررون من الكارثة في أمس الحاجة إلى الدعم النفسي والاجتماعي الذي يوفر لهم القدر الأكبر من مراعاة المشاعر التي تملكهم جراء حدوث الكارثة، وتقديرها فيجب ان يدرك الأخصائيون الاجتماعيون أن القيم المهنية واحدة في كافة مجالات الممارسة المهنية إلا أنها تكتسب خصوصيتها في مجال إدارة الكوارث؛ نظرا لطبيعة وخصوصية الظرف الكارثي؛ فلا بد أن يراعي الأخصائيون - بدرجة شديدة من الحذر - الحالة النفسية لأولئك المنكوبين والمتضررين؛ حتى يتم تجنب إلحاق مزيد من الأذى النفسي أو الاجتماعي أو المادي بهم، بالإضافة إلى أن هذا الالتزام القيمي يسهم - دون شك - في زيادة ترسيخ مكانة المهنة في نفوس المنكوبين والمتضررين، وكذلك توسيع مكانتها بين كافة المهن التي تشكل فرق العمل للتدخل في الكوارث والأزمات

## References

Guleria, S., 2017. *TRAINING OF TRAINERS' PROGRAMME ON BASICS OF DISASTER MANAGEMENT*, NIDM- South Campus: s.n.

Sherr, M. L., 2008. Social Work With Volunteers. Chicago. *Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly*, 21 October, 38(5), pp. 910-913.

Zakour, M. J., 2004. *SOCIAL WORK AND DISASTERS*. [Online]

Available at:

<https://training.fema.gov/emiweb/downloads/edu/socialworkanddisasters4.doc>

[Accessed 23 January 2020].

- Asgary, A., 2006. Theorizing disaster and emergency management. In: C. Raj Kumar & D.K. Srivastava , eds. *Tsunami and disaster management: Law and governance*. Hong Kong: Thomson, p. 42.
- Becker, K., Sapirstein, G. & Weir, J., 2008. *Psychological support for survivors of disaster A practical guide*, s.l.: IBM International Foundation .
- Drumm, R. D., Sharon , P. W. & Perr, S., 2003. Social Work Interventions in Refugee Camps: An Ecosystems Approach. *Journal of Social Service Research* , 30(2), pp. 67-92.
- E A S S W, 2017. *Global definition of Social Work*. [Online] Available at: <https://www.eassw.org/language/english/> [Accessed 1 March 2019].
- EMDAT, 2019. *OFDA/CRED International Disaster Database*, Brussels– Belgium: Université catholique de Louvain.
- European Association for Schools of Social Work, 2017. *Global definition of Social Work*. [Online] Available at: <https://www.eassw.org/language/english/> [Accessed 1 March 2019].
- Grossman, L., 1973. Train crash: social work and disaster services. *Social Work*, September, 18(5), pp. 38-44.
- Guha-Sapir, D. & Lechat, M., 1986. The Impact of Natural Disasters: A Brief Analysis of Characteristics and Trends. *Prehospital and Disaster Medicine*, 2(1-4), pp. 221-223.
- IFRC, 2020. *Types of disasters: Definition of hazard*. [Online] [Accessed 26 January 2020].
- IFSW, 2018. *Global Social Work Statement of Ethical Principles*. [Online] Available at: <https://www.ifsw.org/global-social-work-statement-of-ethical-principles/> [Accessed 27 January 2020].
- Jaworowski, Z., 2010. Observations on the Chernobyl Disaster and LNT. Dose-response. *International Hormesis Society*,, 8(2), pp. 148-171.

Masson, V. L., Lim, S., Budimir, M. & Poddoj, J. S., 2016. *Disasters and violence against women and girls: Can disasters shake social norms and power relations?*. UK, Overseas Development Institute, pp. 1-22.

NASW, 2020. *Advocacy*. [Online]  
Available at: <https://www.socialworkers.org/Advocacy>  
[Accessed 28 January 2020].

Nikku, B. R., 2015. Living through and responding to disaster: Multiple roles for Social Work. *The International Journal of Social Work Education*, 34(6), pp. 601-606.

Nojavan, M., Salehi, E. & Omidvar, B., 2018. Conceptual change of disaster management models: A thematic analysis. , *Jàmbá: Journal of Disaster Risk Studies*, 10(1).

O'Hagan , K., 2005. Crisis Intervention in Social Work. In: J. Lishman, ed. *Handbook of Theory for practice Teachers in Social Work*. 10 ed. s.l.:Londom and Phladelpia.

Rapoport, L., 1965. The State of Crisis: Some Theoretical Considerations. In: *Crisis Intervention: Selected Readings*. New York: Family Service Association of America.

Ritchie , H. & Roser , M., 2020. Natural Disasters. *Our World in Data*.

Robb, 2012. *Give social workers a role in disaster relief work*. England, British Association of socail work.

Rogge, M. E., 2003. The Future is Now: Social Work, Disaster Management, and Traumatic Stress in the 21st Century. *Journal of Social Service Research*, 30(2), pp. 1-6.

Sands, R. G., Fall 1983. Crisis Intervention and Social Work Practice in Hospitals. *Health & Social Work*, 1 October, 8(4), p. 253–261.

Social Work degree guide, 2020. *5 of the Most Important Core Social Work Values*. [Online]  
Available at: <https://www.socialworkdegreeguide.com/lists/5-important-core-social-work-values/>  
[Accessed 27 January 2020].

Soliman, H. H. & Paula, S. T., 2003. Preface. *Journal of Social Service Research*, 30(2), pp. xiii-xv..

Suliman, H. H. & Rogge, M. E., 2002. Ethical Consideration in Disaster Services: A social Work Perspective. *Electronic Journal of Social Work* ISSN.

Tan, N. T. & Rowlands, A., 2007. *Asian tsunami and social work practice: Recovery and rebuilding*. New York,: Routledge Press.

Yanay, U. & Benjamin, S., 2005. The role of social workers in disasters: The Jerusalem experience. *Sage Publications*, pp. 1-14.

Zakour, M. J., 1996. Geographic and Social Distance during Emergencies: A Path Model of Interorganizational Links. *Social Work Research* , 20(1), pp. 19-29.

Zakour, M. J., 1997. Disaster Research in Social Work. *Journal of Social Service Research*, 22(1-2), pp. 7-25.